مجلة وعي للعلوم الإنسانية
Waai Journal for Hummanities
ISSN: 3104-9125
E-ISSN:3104-9117

مجلة وعي للعلوم الإنسانية

العدد الثالث/ ٢٠٢٦م، الصفحة: ٩٧١-٩٩٣

تطور الهجاء في الشعر العربي النقائص انموذجًا

The Development of Satire in Arabic PoetryAl-Naqa'id as a Model:

م.م .دنيا عبد الرحيم سويد

Donia.abdulrahim suwaid Hammadi

جامعة الانبار–كلية العلوم السياسية

Donia.abdulrahim.s@uoa.edu.iq

الكلمات المفتاحية

الهجـــــاء، تطـــــوره، النقائض.

الملخص

يهدف هذا البحث عن تسليط الضوء عن ظاهرة معينة وهي تطور الشعر عبـر مراحـل مختلفـة فقد تعددت الأغراض الشعرية في الشعر العربي وتطورت بفعل تطور الحياة العربيـة، واخـذت الحيـاة الادبية بفضل عوامل مختلفة يزدهر غرض وينمحي اخر بفعل عوامل تظهره وتخفيـه، وكـان غـرض الهجاء من الاغراض الشعرية التي نالها التطور في العصور الادبية، ونجد ان الهجـاء معروفـا فـي العصر الجاهلي وخف في العصر الاسلامي، بينما كان عصره الذهبي في العصر الأموي الذي ظهر فيـه النقائض، وتطور في العصرين العباسي والاندلسي،فقد تطور تطورا ملحوظاً وكـان العـرب يعظمـون فرسانهم ويمدحون ملوكهم، فإنهم يسلطون ألسنتهم على الخصال الذميمة في مجتمعهم، وان غـرض الهجاء ساير أغراض الشعر العربي في مختلف عصور الأدب، وصور فيه، وتطـور الهجـاء تطـورا ملحوظا ففي العصر الجاهلي كان هجاءا شخصياً وقبليا،أما في العصر الإسلامي نجده إن الهجاء خـف او كاد إن ينحسر وبقي مسلط على العدو ويستخدم في المعارك لغرض تشجيع الفرسان الشعراء عاطفة

الحب والاحتقار والاستهزاء، وسواء ذلك أن يكون موضوع العاطفة هو الفرد أو الجماعة أو الأخـــلاق أو المذاهب.

KEY WORD

Satire in ancient Arabic poetry, its development, poetic rivalries.

Abstract

This study aims to shed light on the phenomenon of satire in ancient Arabic poetry, highlighting its importance comparable to other poetic purposes. It traces the development of satire and its evolution, as it is one of the Arabic poetic genres that has been influenced by the development of life in Arab society. This genre has grown and flourished, gaining great significance. It is not confined to a single era; rather, satire can be found across different ages, with each era presenting a distinct form shaped by the progress of life and its transformations. Thus, poetry preserved satire while also refining it.

Satire as a poetic purpose has undergone noticeable development since the pre-Islamic era. During that time, it was characterized by personal and tribal attacks. Later, in the Umayyad period, it took on a different form in the poetry of rivalries. After that, it became more refined, showing development in language, structure, and style, and expanding to include satire of cities, society, religion, politics, and other aspects.

The methods and styles of satire have diversified due to the development of society and the varying environmental conditions.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين أما بعد:

فقد تعددت الأغراض الشعرية في الشعر العربي وتطورت بفعل تطور الحياة العربية، واخذت الحياة الادبية بفضل عوامل مختلفة يزدهر غرض وينمحي اخر بفعل عوامل تظهره وتخفيه، وكان غرض الهجاء من الاغراض الشعرية التي نالها التطور في العصور الادبية .

ونجد ان الهجاء معروفا في العصر الجاهلي وخف في العصر الاسلامي، بينما كان عصره الذهبي في العصر الأموي الذي ظهر فيه النقائض، وتطور في العصرين العباسي والاندلسي.

وجاء البحث الموسوم بـــ(تطور الهجاء في الشعر العربي النقائض انموذجا) إذ تقسم البحث على مبحثين، أولهما،(تطور الهجاء في الشعر العربي) الذي تناول تعريف الهجاء لغة واصطلاحا وتطوره في كل عصر وبيان انواعه واساليبه.

بينما جاء المبحث الثاني (الهجاء في النقائص) الذي تناول التعريف بالنقائض ونظرة موجزة عنها، ومن ثم بيان انواع الهجاء فيها من هجاء قبلي وشخصي وديني وسياسي، ثم خاتمة البحث وقائمة بالمصادر والمراجع .

المبحث الأول

الهجاء في الشعر العربي

يعد الهجاء من الأغراض الشعرية التي عرفها الشعر العربي لذلك سنتتبع مفهومه في اللغة والاصطلاح .

الهجاء لغة: ((هجأ: هَجِئَ الرَّجُل هَجَأً التَهبَ جُوعُه وهَجَأَ جُوعُه هَجْأً وهُجُوءاً سكن وذهَب وهَجَأَ غَرَثِي يَهْجَأُ هَجْأً سَكَنَ وذهَب وانْقَطَع وهَجَأَه الطعامُ يَهْجَؤُهْ هَجْأً مَلأَه وهَجَأَ الطعامَ أكله وأَهْجَأَ الطعامُ غَرَثِي سكَّنه وقَطَعَه ... وهَجَأَ الإبِلَ والغنمَ وأَهْجَأَها كَفَّها لِتَرْعى والهِجاءُ ممدود تَهْجِئَةُ الحرف وتَهَجَّأْت الحرف وتهجيته بهمز وتبديل أبو العباس الهَجَأُ يُقصر ويهمز وهو كلُّ ما كنت فيه فانْقَطَع عنك ...وأَهْجَأْتُه حَقَّه وأَهْجَيْتُه حَقَّه إذا أَدّيته إليه)) [١]، وجاء في الصحاح ((الهِجاءُ: خلاف المدح. وقد هَجَوْتُهُ هَجْواً وهِجاءً وتَهْجاءً. ..فهو مَهْجُوٌّ. ... والمرأة تَهْجو زوجها، أي تذمّ صحبتَه. وهَجَوْتُ الحروف هَجْواً وهِجاءً، وهَجَّيْتُها تَهْجِيَةً، وتَهَجَّيْتُ، كلُّه بمعنًى)) [٢]، فقد تحدث عن معنى الهجاء في الشعر وتنوع مقاصده، ووافق صاحب محيط اللغة ذلك فقال: ((هجو هَجَا يَهْجُو هِجَاءً. وأَهْجَيْتُ هذا الشِّعْرَ وجَدْتُهُ هِجَاءً. وهَجَا غَرْثَه وجُوعَهُ هَجْواً أسكن. والهِجَاءُ – ممْدُود –، تَهَجَّأْتُ وتَهَجَّيْتُ. والهُجْأَةُ الأَحْمَق. وهَجَأْتُهُ بالعَصَى ضَرَبْتُهُ بها. وكَذاكَ إذا صَرَعْتُه. وهَجَأْتُ المَرْأَةَ جَامَعْتُهَا. وفُلانٌ على هِجَاءِ فلانٍ أيْ على قَدْرِهِ في الطُّولِ والعَرْضِ. والهِجَاءُ القِرَاءةُ)) [٣] .

---

(١) لسان العرب: مادة(هجا) .
(٢) الصحاح في العربية: مادة(هجا).
(٣) المحيط في اللغة: مادة (هجا).

((هَجَا يَهْجو هِجاءً، ممدود: وهو الوقِيعة في الأشعار... فلانٌ تَهْجُو صُحْبَةَ زوجها: أي تَذُمّه، ونشكو من صُحْبَتَه،ورُوِى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " اللهم إن فلاناً هجاني فاهجُه اللهم مكانَ ما هَجاني " . ومعنى قوله: اهْجُه اللهم: أي جازِه على هِجائه إيّاي جزاءَ هِجائه)) [١]، نلحظ ان المعاجم العربية قد نظرت إلى الهجاء على أنه خلاف المدح في الشعر، فضلا عن هجاء المرأة لزوجها، لبيان صفاته الذميمة، ومنهم من جعل التهجي في القراءة وهو أمر بعيد عن حديثنا .

الهجاء: اصطلاحا:

تناول النقاد غرض الهجاء وبينوا ما فيه من صفات وخصائص وجعلوه مقابلا للمديح، فقال قدامة بن جعفر((الهجاء ضد المديح)) [٢]، وتحدث القاضي الجرجاني عن خصائص الهجاء فقال: ((فأما الهجو فأبلغُه ما جرى مجْرى الهزل والتهافت، وما اعترض بين التصريح والتعريض، وما قرُبت معانيه وسهُل حفظه؛ وأسرع عُلوقُه بالقلب ولُصوقه بالنفس؛ فأما القذْف والإفحاش فسِباب محض، وليس للشاعر فيه إلا إقامة الوزن وتصحيح النظم.)) [٣]، وجعل ابن رشيق القيرواني للهجاء وقع نفسي عند المهجو ((وأجود ما في الهجاء أن يسلب الإنسان الفضائل النفسية وما تركب من بعضها مع بعض، فأما ما كان في الخلقة الجسمية من المعايب فالهجاء به دون ما تقدم، وقدامة لا يراه هجواً البتة، وكذلك ما جاء من قبل الآباء والأمهات من النقص والفساد لا يراه عيباً، ولا يعد الهجو به صواباً، والناس إلا من لا يعد قلة على خلاف رأيه، وكذلك يوجد في الطباع)) [٤] .

وتحدث ابن الاشهيبي عن حقيقة الهجاء فقال ((القصد من الهجاء الوقوف على ملحه وما فيه من ألفاظ فصيحة ومعان بديعة لا التشفي بالاعراض والوقوع فيها وليس الهجاء دليلا على إساءة المهجو ولا صدق الشاعر فيما رماه به فما كل مذموم بذميم وقد يهجي الانسان بهتانا وظلما أو عبثا أو ارهابا)) [٥] .

وقسم المقريَ الهجاء إلى نوعين فقال ((الهجاء ينقسم قسمين فقسم يسمونه هجو الأشراف وهو ما لم يبلغ أن يكون سبابا مقذعا ولا هجوا مستبشعا وهو طأطأ قديما من الأوائل وثل عرش القبائل إنما

(١) تهذيب اللغة: مادة (هجا).
(٢) نقد الشعر: ٥٥.
(٣) الوساطة بين المتنبي وخصومه: ٢٤.
(٤) العمدة في محاسن الشعر وآدابه: ١٧٢/٢.
(٥) المستطرف في كل فن مستظرف: ٢/٢.

هو توبيخ وتعبير وتقديم وتأخير... والقسم الثاني هو السباب الذي أحدثه جرير أيضا وطبقته وكان يقول إذا هجوتم فأضحكوا وهذا النوع منه لم يهدم قط بيتا ولا عيرت به قبيلة)) [١] .

ونجد أن المحدثين عرفوا الهجاء تعريفات كثيرة منها أنه ((أدب غنائي يصور عاطفة الغضب والاحتقار والاستهزاء، وسواء في ذلك ان يكون موضوع العاطفة هو الفرد أو الجماعة أو الاخلاق أو المذهب)) [٢]، أو هو ((تعداد مثالب العدو وقومه والتهكم عليهم والحط من قدرهم)) [٣]، ((والهجاء نقيض الفخر ... يعبر عن وجوه القبح واليأس وأنه تجسيد لملامح الشر والاحتلال والشعور بالنقص والاختلاف)) [٤]، بينما اجمل مجدي وهبة في معجمه تعريف الهجاء فقال: ((هو وصف الشخص أو القبيلة أو الحزب بما يتنافى مع العدل والمروءة وقد كان الهجاء غرضا من أغراض الشعر العربي منذ عصر الجاهلية، وكانوا يتحاشون هجاء الشعراء بشتى الوسائل كي لا يصيبهم ما صبه الشعراء عليهم من مثالب ولعنات ويدور الهجاء غالبا حول وصف المهجو بكل ما يتنافى مع المروءة وهي صفة تجمع بين الشجاعة والكرم وحماية الجار والوفاء والنجدة وطلب الثأر)) [٥].

تطور الهجاء في الشعر العربي

من الموضوعات الشعرية التي عرفها الشعراء منذ القديم، ((انه كان في الأصل لعنات يصبّها الأفراد على أعدائهم وأعداء قبائلهم أملين أن تنزل بهم المقادير، وأخذ يتحول من لعنات خالصة إلى سباب))[٦]، فهو يدل حول سلب معاني العقل والشجاعة والعدل والعفة، تلك الخصال التي حددها قدامة قدامة بن جعفر[٧]، فالشاعر يقف معدداً مثالب المهجو وتأكيدها، وسلبه صفاته ((فأما الهجو فابلغهما خرج مخرج التهزل٠٠، وقربت معانيه وسهل حفظه أسرع علوقه بالقلب))[٨]، ((وأجود ما في الهجاء

---

[١] نفح الطيب: ٣/ ٢٥٤-٢٥٥.

(٢) الهجاء والهجائون في الجاهلية: ١٢.
(٣) تاريخ الادب العربي: حنا الفاخوري: ٤٠.
(٤) فن الهجاء وتطوره عند العرب: ٧-٨.
(٥) معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب: ٤٢٢.
(٦) تاريخ الأدب العربي، شوقي ضيف، ٢٢٢.
(٧) ينظر: نقد الشعر:٩٣.
(٨) العمـدة: ٢ /١٧١.

أن يسلب الإنسان الفضائل النفسية وما تركب بعضها من بعض))[١]، فترفع العرب عن الهجاء الفاحش ((ولهذا لم يكن الهجاء عند العرب في الإفحاش،وإنما هو في سلب الخُلق أو سلب النفس .

وابلغ الهجاء ما عمد الى تعرية المهجو، بسلبه الفضائل النفسية، ودونه ما كان في الخلقة الجسمية [٢]، بل ان بعضهم لا يعدّ المعايب في الخلقة الجسمية هجاءً البتة[٣]، و((ابلغ الهجاء واشدّه ما ما أصاب الغرض، ووقع على النكتة وخرج الى التهزل والتهافت، واسرع علوقه في القلب، ولصوقه في النفس)) [٤]، كما اتفق النقاد القدامى على ان أشدّه اعفّه واصدقه [٥]، وللهجاء شروط وضوابط حدّدها النقاد بالابتعاد عن الاقذاع والفحش والقذف، لان هذه الملامح من السباب المحض[٦]، وكان خير خير الهجاء عندهم ((ما تنشده العذراء في خدرها، فلا يقبح بمثلها))[٧]، كما اشترطوا الايجاز اساساً في الهجاء [٨]، كي يسهل حفظه وتضمن سيرورته[٩]، واتفق أغلبهم على ان التعريض اهجى من التصريح لانه اشدّ استفزازاً للخصم[١٠]، ((ولاتساع الظن في التعريض وشدة تعلق النفس به، والبحث عن معرفته وطلب حقيقته، فاذا كان الهجاء تصريحاً احاطت به النفس علماً، وقبلته يقيناً في اول وهلة، فكان كل يوم في نقصان لنسيان او ملل يعرض هذا هو المذهب الصحيح، على أن يكون المهجو ذا قدرٍ في نفسه، وحسبه، فأما إن كان لا يوقظه التلويح، ولا يؤلمه إلا التصريح فذلك))[١١] .

وكان العرب يعظمون فرسانهم ويمدحون ملوكهم، فإنهم يسلطون ألسنتهم على الخصال الذميمة في مجتمعهم، وان غرض الهجاء ساير أغراض الشعر العربي في مختلف عصور الأدب، وصور فيه الشعراء ((عاطفة الحب والاحتقار والاستهزاء، وسواء ذلك أن يكون موضوع العاطفة هو الفرد أو الجماعة أو الأخلاق أو المذاهب))[١٢]، وقد كان العربي يهجو أعداءه ويفخر[١٣] فـ((إذا اهتاج أسرع

---

(١) المصدر نفسه،:١٧٤/٢.
(٢) ينظر: العمدة:٢ / ١٧٤
(٣) ينظر: نقد الشعر: ١٨٧
(٤) ينظر: المصدر نفسه : ١١٥ .
(٥) ينظر: المصدر نفسه: ٧٣ .
(٦) ينظر: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ٢٤ .
(٧) العمدة:٢ / ١٧٠ .
(٨) ينظر: ونقد الشعر: ١١٥.
(٩) ينظر: الشعر والشعراء: ١ / ٧٦ ..
(١٠) ينظر: عيار الشعر: ١٧ .
(١١) العمدة: ٢ / ١٧٢ - ١٧٣ .
[١٢]) الهجاء والهجاؤون في الجاهلية: ١٢.
[١٣]) ينظر: تاريخ الأدب العربي – عصر الدول والإمارات ــ مصر والشام ــ: ٧٠٠.

إلى السيف واحتكم إليه، وبادر شاعره إلى اللسان فسلطة في شعر فيه الحماسة وفيه الهجاء المقذع))[١]، وقد تطور غرض الهجاء عما كان عليه أول أمره بأن أصبح يميل إلى الشعبية وهذا ما نجده في القرن الثاني للهجرة الشريفة وما تلاه من عصور الأدب[٢]، ويبدو أن الشاعر عندما يقرب المهجو من المعاني الشعبية سواء أكان ذلك في الأفكار أم في الألفاظ فانه ينجح في جعل مهجوه يسير ذكره على كل لسان وتسري سمعته الذميمة في المجتمع وربما تكون هذه غاية الشاعر من الهجاء، وفي العصر الوسيط نجد الهجاء مكملا لتلك الروح الساخرة التي اتسم بها الشعراء في العصور السالفة، ونجده كذلك في مختلف ألوانه، فمنه الهجاء السياسي والديني وهجاء المجتمع والهجاء الشخصي وهجاء المدن.

وسنعرض تطور غرض الهجاء في كل عصر من عصور الأدب العربي .

أولا: الهجاء في العصر الجاهلي:

تناول النقاد غرض الهجاء في الشعر الجاهلي بخصائصه وشعرائه وبحثوا في مضمونه وطريقة تطوره وانه ((مرتبط بروح الصحراء العربية التي كانت تقوم على التنافس والحروب بين القبائل وكانت المعاني في قصيدة الهجاء تذم الضعف والبخل واختلاط الانساب لكن الفاظ الهجاء لم تكن مقذعة مقارنة بالهجاء في العهود التالية ... فكانت تنديدا بالمعايب الشخصية للفرد واحتقارا لجماعة معينة من الناس ثم تطور ليرتفع عن الاحقاد الشخصية ليطال مشكلات الحياة العامة فكان منه الهجاء السياسي والاخلاقي والديني والخلقي ... وكان الشاعر لسان قبيلته فالقبيلة تفتخر على غيرها اذا ولد فيها شاعر فالشاعر عزيز في قومه ... وكان الشعر سلاحا)) [٣] .

وقد تحدث الدكتور شوقي ضيف عن عادات الجاهليين في الهجاء فقال((ان الشاعر اذا اراد الهجاء لبس حُلة خاصة ولعلها كحلل الكهان وحلق رأسه وترك له ذؤابتين ودهن أحد شقي رأسه وانتعل نعلا واحدة ... لكي تصيب لعنات هجائه خصومه بكل ما يمكن من ألوان الاذى وضرب النحس المستمر ... والهجاء في الجاهلية كان لا يزال يقرن بما كانت تقرن به لعناتهم الدينية الأولى من شعائر، ولعلهم من اجل ذلك كان يتطيرون منه ويتشائمون ويعاولون التخلص من أذاه ما استطاعوا الى ذلك سبيلا ...

---

[١]) فنون الأدب العربي (الهجاء)، لجنة من الأدباء: ١٠.

[٢]) تاريخ الادب العربي – العصر العباسي الثاني : ٤٧.

(٣) فنون الأدب العربي: الهجاء: ٨-٩.

وكان الغزو والنهب بين القبائل ... فيعرض الشاعر لهم ويتوعدهم بالهجاء اضطروا اضطرارا الـــى ردها او على الاقل يردون ماله هو وإبله)) [١]

نجد ان الهجاء في العصر الجاهلي قد كان البذرة الأولى في القول بهذا الغرض على الرغم من أن الأمم السابقة قد عرفت غرض الهجاء وكان الهجاء يتطور في الشعر الجاهلي إذ كان من ضمن القصائد متعددة الاغراض، وجاء في قصائد مستقلة لدواعي شخصية افرزتها الواقعة التي فرضت على الشاعر قول القصيدة، فالهجاء في العصر الجاهلي كان هجاء شخصيا وقبليا بسبب الصراع والحروب بين القبائل العربية، والتنافس بين الشعراء أدى إلى ظهور الهجاء الشخصي، ولم يكن الهجاء مقذعا لأن العرب كانت تنكر ذلك، وكانوا يهجون بالنسب والعادات الذميمة كالبخل وقلة الشجاعة والمروءة والبخل وحماية الجار وغيرها، وشاركت المرأة في الهجاء ولا سيما هجاء الخنساء لدريد بن الصمة عندما طلبها للزواج، وهجاء زهير بن ابي سلمى لبني عليم، وكذلك يعد اشهر شعراء الهجاء في الجاهلية الأعشى والحطيئة .

ثانيا: الهجاء في العصر الإسلامي والأموي:

مع بزوغ نور الإسلام في جزيرة العرب ودعوته إلى مكارم الأخلاق ونهيه عن سوء الخلق والتباغض والتناحر، وتوحيد العرب ورفض التناحر القبلي، وتنبيه القرآن الكريم والسنة النبوية على كره الشعر الذي يدعو للكراهية والذم، من ذلك خفت غرض الهجاء .

الا ان غرض الهجاء ظهر في المعارك بين المسلمين والمشركين فكان احد ادوات المعركة وهـــو سلاح يثير الحمية، وقد طلب الرسول (صلى الله عليه وسلم) من شعراء المدينة ان يعينوه على هجاء قريش فكان حسان بن ثابت يهجو قريش فقال له (صلى الله عليه وسلم) ((لشعرك أشد عليهم من وقع النبل)) وهذا يصور مدى أثر الهجاء في نفوس العرب فهو سلاح لا يقل عن الاسلحة الاخرى [٢]، فهو كالإعلام في زماننا، لكن لم يكن هجاءا مقذعا وفاحشا فكان حسان بن ثابت يهجوهم بأيام العرب ويذكرهم بها، ويفخر بالإسلام، ويذم عبادة الأصنام،

وقال الرسول (صلى الله عليه وسلم) ((من قال هجاء مقدعا فلسنانه هدر))، دلالة على نهي الأســـلام على الذم وسوء الخلق [٣] .

---

(١) تاريخ الادب العربي، العصر الجاهلي: ١٩٧.
(٢) تاريخ الادب العربي –العصر الجاهلي: شوقي ضيف: ٢٠٠.
(٣) العمدة: ١٧٠/٢.

وفي العصر الراشدي ضعف غرض الهجاء وكان الشاعر يعاقب إذا هجا أحدا، من ذلك قصة الحطيئة مع الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) عندما حبس الحطيئة لأنه هجا الزبرقان بن بدر، فاخرجه من السجن بسبب أبيات قالها رق قلب الخليفة لذلك واخذ تعدا منه ان لا يهجو احدا ((أياك والهجاء المقذع قال: وما المقذع يا أمير المؤمنين ؟ قال: المقذع أن تقول هؤلاء أفضل من هؤلاء وأشرف، وتبني شعراً على مدح لقوم وذم لمن تعاديهم، فقال: أنت والله يا أمير المؤمنين أعلم مني بمذاهب الشعر، ولكن حباني هؤلاء فمدحتهم وحرمني هؤلاء فذكرت حرمانهم ولم أنل من أعراضهم شيئاً، وصرفت مدحي إلى من أراده ورغبت به عمن كرهه وزهد فيه)) [١]، فنجد ان الهجاء في العصر الإسلامي قد ضعف لأسباب منها تحريم الإسلام نوعا معينا من الشعر الذي يثير الضغائن والأحقاد، وفتور العصبية القبلية، وانشغال المسلمين في الدعوة إلى الإسلام وتعليمه .

لكن مع ظهور الفتن في نهاية الحكم الراشدي وظهور التحزب والقبلية من حروب الردة، وفتنة مقتل عثمان (رضي الله عنه)، وظهور الخوارج، والفرق الإسلامية كل ذلك جعل من عودة غرض الهجاء من جديد [٢]، حتى اذا جاء الحكم الأموي عادت مظاهر الجاهلية وقويت نارها اذ قوة العصبية القبلية التي شجعها الحكام، وظهرت الحركات والثورات ضد الدولة الأموية، وظهور التحزب بين الفرق الإسلامية كالزبيرين والخوارج والشيعة وغيرهم، فضلا عن الصراع بين القبائل بين تميم وقيس من جهة وربيعة والازد من جهة اخرى في البصرة، وسرعان ما انتقلت الى الكوفة ومن ثم الى خراسان كون ان معسكرات الجند فيها من هذه القبائل فكانت الصراعات تصل اليها بسرعة ولقربها من البصرة والكوفة [٣] .

لذلك نشطت الأرضية ليتطور غرض الهجاء في العصر الأموي بفضل تلك العوامل التي مهدت لها مما أدى إلى ظهور نوع جديد عرف بالنقائض التي ظهرت في البصرة بين شعراء هم جرير والفرزدق والأخطل والراعي النميري، اذ كانت مباريات شعرية تحمل الهجاء والسخرية من الآخر، فعاد الهجاء المقذع والصريح والتفاخر بالانساب ووذكر الحروب القديمة والهجاء بالالفاظ والمعاني المقذعة [٤] .

---

(١) العمدة: ١٧١/٢.
(٢) ينظر: تاريخ الادب العربي – العصر الاسلامي: ١٩٩.
(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٢٣١.
(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٢٣٢.

ثالثا: الهجاء في العصر العباسي

اختلف الهجاء وتغير عن ما كان عليه في العصر الأموي بسبب تغير الظروف والعوامل التي دعت الى وجوده بسبب أثر البيئة والحضارة وتنوع الأعراق واختلاط الأمم، فكان الهجاء يتصل بالنزعات السياسية والاجتماعية فضلا عن العوامل التقليدية التي تطورت في العصر العباسي، وظهور الهجاء باتجاهات جديدة كالاتهام بالزندقة والخبث وهجاء المغنين ورجال الدين، وهجاء العرب والعجم، واصبح الهجاء عقيدة يعتمد على الفكر ويتأثر بالحضارة والتيارات المختلفة التي تعددت في العصر العباسي [١] .

وكان أغلب شعر الهجاء عبارة عن أبيات ومقطوعات موجزة كي تبقى في ذهن المتلقي وتنوع الهجاء بين السياسي والديني والاجتماعي والشخصي، وحتى هجاء المدن، ونلحظ في هجاء العصر العباسي ((ان شعر العصبيات القبلية خبت ناره فيه وخبت معه نار النقائض وحل محله شعر شعوبي أحيانا ولكن الكثرة الكثيرة كانت هجاءا شخصيا يتعرض للاعراض مزريا بالمهجوين محقرا لهم ومهونا منهم ونستطيع ان نطرد هذا الحكم في العصر العباسي الثاني ...فكان الهجاء الشخصي هو اللون العام في العصر العباسي الاول ان شعراءه اكثروا في هجائهم من القول الفاحش المقذع في الامهات والاخوات وظل ذلك في هذا العصر وظل معه ذكر العورات مما ينبو عن الذوق وكل ما يتصل به من بذاءة لن تقف ... وكانت نيرانه مضطربة طوال العصر فالشعراء يسارعون اليه كلما حجيهم وزير او قصر في عطائهم وكذلك كلما لقيهم قائد او وال او كاتب او شخص نابه او عالم لقاء غير حميد وكثيرا ما كانت تجرهم المنافسة الى الدخول في معارك هجاء حامية الوطيس ... فكان هجاء الخلفاء والولاة والوزراء والمنافسة بين الشعراء ما دفعهم الى التهاجي)) [٢] وقد تتبع الشعراء العيوب الخلقية والأنساب ومن أشهر شعراء الهجاء في العصر العباسي ابن الرومي والتهاجي بين بشار بن برد وحماد عجرد .

تطورت ألفاظ الهجاء ومعانيه وظهرت أساليب الهجاء من الهجاء الجسدي والهجاء القبلي، والهجاء بين الامم ولا سيما بين العرب والموالي أو بين الفرس والعرب، وهو نوع من التطور فرضته تطور الحضارة العربية في العصر العباسي.

---

(١) ينظر: الهجاء في الشعر العربي في الاندلس: ٧٩.
(٢) تاريخ الادب العربي – العصر العباسي الثاني: ٤٢٩-٤٣٠.

رابعا: الهجاء في العصر الأندلسي

ان دخول المسلمين إلى الأندلس كانوا من جنسيات مختلفة فيهم العربي والبربري، ومن قبائل مختلفة، فحملوا معهم ما ورثوه من بيئاتهم من المشرق، وشاهدوا وطنا جديدا فاعجبوا به وخفتت العصبية في أول أمرها ولم يكن لغرض الهجاء سوق رائجة، لكن يرى الدكتور نافع عبد الله الى ثلاث بذرات منها تطور غرض الهجاء في الأندلس أول هذه البذرات: سببها الظروف والاحداث التي تتعلق بقادة الفتح (طارق بن زياد، وموسى بن نصير، والمغيث) فكان هناك خلافا شخصيا بين طارق وموسى ومغيث، اذ عرض المغيث بطارق وموسى وخاطبهم مهددا اياهما فقال:

اعنتكم ولكن ما وفيتم فسوف اعيث في غرب وشرق[١]

فهذا كان بسبب دواعي شخصية كما لاحظنا ذلك

وثاني بذرات تطور غرض الهجاء في الاندلس التي انبتها الولاة الذين تولوا أمور الاندلس من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك، وهو الوالي ابو الخطار الحسام بن ضرار الكلبي من أشراف القحطانيين وهو شاعر وفارس فحصل خصام بين ابي الخطار والصميل فهجاه فقال:

اذا اتخذت صديقا او هممت به فاعمد لذي حسب ان شئت او دين

أما البذرة الثالثة: فقد كانت في نفس عبد الرحمن الداخل الذي هرب من شيوف بني العباس في المشرق، ودخل الاندلس وافتخر بنسبه وتمكنه من توحيد الاندلس فقال:

لا يلف ممتن علينا قائل لولاي ما ملك الانام الداخل

فهذه الأسباب كانت البذرات الأولى في ظهور غرض الهجاء في الأندلس[٢] .

ونتيجة للأحداث التي عصفت بالأندلس من ثورات وحروب وفتن نما بفعل ذلك الهجاء في أرض الأندلس ولا سيما الهجاء السياسي والديني والشخصي وهجاء المدن، لكن بأسلوب يخلو من الفحش والاقذاع .

ومن اشهر شعراء الأندلس في الهجاء السميسر الألبيري الذي هجا البربر فقال:

رأيت آدم في نومي فقلت له أبا البرية ان الناس قد حكموا

ان البرابر نسل منك قال اذن حواء طالقة ان كان ما زعموا

فضلا عن هجاء اليهود والنصارى وذم الزمان والدهر والسخط على الحكام لتخاذلهم عن نصرة اخوانهم، فضلا عن التهاجي بين الشعراء، وهجاء المدن [١] .

---

(١) نفح الطيب: ١٣/٤، وينظر: الهجاء في الشعر العربي في الاندلس: ٢٤.
(٢) ينظر: الهجاء في الشعر العربي الأندلسي: ٢٣-٢٦.

أنواع الهجاء:

١- الهجاء القبلي: وهو((الهجاء الذي يتوجه به الشاعر إلى قبيلة معادية وهو هجاء يتصل بالعصبية القبلية وما ينشأ عنها من حروب ومنازعات واحقاد بين القبائل)) [٢]، اذ كان هذا النوع من الهجاء موجودا في العصر الجاهلي وخفت في العصر الاسلامي ومن ثم عاد بشكل كبير في العصر الأموي، وقل في العصر العباسي والاندلسي عن ما كان عليه في العصر الاموي، فكان الهجاء القبلي يعتمد أساليب الهجاء بالنسب وعدم الانتماء وتجريد القبيلة الخصم من كل فضيلة .

٢- الهجاء الشخصي: وهو ((الهجاء الذي يصدر عن الشاعر فيستخدمة وسيلة دفاع عن نفسه اذا اعتدى عليه إنسان بعينه او يتخذه أداة منافسة او هجوم يبارزها شخصا بذاته ويعتدي عليه ... وهو تلبية لرغبات النفس)) [٣] .

٣- الهجاء السياسي: اي هجاء الطبقة الحاكمة وأمور السياسة، فالشاعر يتعرض لتلك القضايا، ويذمها لذلك لم يشكل هذا النوع في العصر الجاهلي حضورا يذكر لعدم وجود دولة وانما كانت العرب عبارة عن قبائل، أما في العصر الاسلامي عصر النبوة لم يوجد كذلك لشيوع العدالة، وانما كان هناك هجاء من المشركين ولم تحفظه الذاكرة والكتب لتحريمه، بينما بدأ هذا النوع من الهجاء يظهر في نهاية العصر الراشدي بسبب الفتن وظهر ونما في العصر الأموي ومن ثم العباسي والاندلسي بسبب فساد الطبقة الحاكمة وسخط الشعراء والشعب على ذلك .

٤- الهجاء الديني: وهو الهجاء الذي ((يتناول المعتقدات والمذاهب الدينية ويصيب القضاة والفقهاء والشيوخ وينتقص ممن يتهاونون في تطبيق أحكام الشريعة كما انه يسخط على الزنادقة والمارين)) [٤]، وهذا النوع من الهجاء لم يعرف في العصر الجاهلي لعدم وجود تنافس ديني في عصرهم، اما في العصر الاسلامي فكان بين المسلمين والمشركين، بينما ظهر هذا النوع من الهجاء في العصر الأموي بسبب ظهور التحزب الديني وظهور الفرق الإسلامية والخوض في العقائد والجدال فيها، بينما اخذ ذلك بعدا اخر في العصر العباسي بين الفرق الفلسفية والدينية بين العرب والفرس، وأو ما يعرف بالشعوبية، التي اعتمدت على الفكر والعقيدة، بينما ظهر هذا النوع في الأندلس بين الأديان الثلاث التي عاشت في الأندلس فوجدنا هجاءا في النصارى واليهود، .

(١) ينظر: الهجاء في الشعر العربي الأندلسي: ٢٧-٣٠.

(٢) المصدر نفسه:٤٩.

(٣) الهجاء في الشعر العربي في الأندلس: ١٠٧.

(٤) المصدر نفسه: ٩٥.

٥- الهجاء الاجتماعي: وهو هجاء يتعرض ((للمفاسد والعيوب التي تسيطر على المجتمع امثال العادات القبيحة والتقاليد السخيفة والجرائم الاخلاقية والتخاصم على حب الرياسة والزعامة والتفاوت بين الطبقات والتميز بين الالوان وما ينجم عن هذا كله من انحراف وانحلال في التركيب الاجتماعي للامة باسرها)) [١]، وهذا النوع من الهجاء له بعض الإرهاصات في العصر الجاهلي وتطور في العصر الاسلامي ونشط في العصر الأموي والعباسي بسبب تطور المجتمعات وظهور كثير من مشكلات المجتمع واختلاط الطبقات الاجتماعية وتمازجها، كل ذلك كان له دور كبير في نهوض هذا النوع، بينما تطور هذا النوع من الهجاء في الأندلس بفعل تعدد فئات المجتمع واختلاف العادات فيها.

٦- انواع اخرى للهجاء، ظهرت انواع اخرى للهجاء مثل هجاء المدن الذي ظهر في العصرين العباسي والاندلسي بسبب نقمة الشعراء على أوضاع التناحر بين الحكام وسوء اوضاع المدن، فضلا عن ظهور الهجاء الساخر الذي عد تطورا لنوع الهجاء ذاته مثل السخرية من الشكل الخارجي للمهجو بأسلوب مضحك، وتطور هذا النوع في نهاية العصر الاموي وبداية العصر العباسي ولا سيما عند الشاعرين ابن دعبل وابو دلامة .

١- وهناك نوع اخر للهجاء وهو الخلقي الذي يتناول الشاعر فيه العيوب الخلقية والجسدية للمهجو. [٢]

أساليب الهجاء:

تنوعت أساليب الشعراء في هجائهم ومنها

١- الهجاء الواقعي: الذي يصور فيه الشاعر المهجو على حقيقته من دون زيادة.

٢- الأسلوب الساخر: الكاريكاتوري، الذي يتفنن فيه الشاعر بالصاق الصفات المثيرة للسخرية بالشخص المهجو.

٣- الأسلوب الصريح: أي الذي لا يتورع فيه الشاعر عن ذكر اسم المهجو والاشارة اليه بشكل مباشر.

٤- أسلوب الهجاء التعريضي: وهو الاشارة الى المهجو من بعيد خفية ويترك الناس يفهمون الى من يوجه ذلك [٣] .

---

(١)الهجاء في الشعر العربي: ٨١.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٧.

(٣) ينظر: الهجاء في الشعر العربي الأندلسي: ٧.

بعد تتبعنا لتطور غرض الهجاء في الشعر العربي نلحظ انه اخذ بالتطور كلما دعت له الظروف الملائمة له من التنافس والصراعات وظهور التحزب والقبلية، فهو لم يكن من دواعي الترف في المجتمعات وانما كان سبب ظهوره الظروف التي تظهر فيها وسخط الناس على تلك الظروف فضلا عن التفرق والعداوة التي تؤهل ظهوره، فالهجاء في الشعر العربي تطور ونضج بسبب عوامل مختلفة منها عامة واخرى خاصة فالعوامل العامة هي:

١- العصبية القبلية

٢- الخصومات الفكرية والسياسية

٣- العوامل الشخصية

بينما هناك دوافع تساعد الشعراء في هجائهم منها:

١- الاستعداد النفسي للشاعر وقابليته التي تدفعه على اظهار السخط والنقد مثل (الحطيئة، المعري، السميسر).

٢- التكوين الجسمي للشاعر واوصافه وما فيه من عاهات وعيوب خلقية مثل (بشار بن برد، وابو دلامة).

٣- الوضع الاجتماعي للشاعر من بيان اصله ونسبه يجعل الناس لا يعبهون به مما يولد شخط الشاعر عليهم مثل (الحطيئة، ابن الرومي).

٤- المساجلة والمنافسة بين الشعراء ومحاولة كل منهم بيان مهارته مثل(جرير والفرزدق والاخطل).

٥-احتراف الشاعر للهجاء والتكسب به وجعله مصدر رزقه مثل (الحكم بن دعبل)[١].

المبحث الثاني

الهجاء في الشعر العربي (النقائض انموذجا)

بعد ان تتبعنا تطور غرض الهجاء في الشعر العربي بعصوره المختلفة، وبينا أنواع الهجاء وأساليبه التي تطورت بفعل عوامل مختلفة أدت إلى تطوره، وفي هذا المبحث سنتناول جانبا تطبيقيا على شعر النقائض الذي يعد من أكثر الأشعار التي استوعبت غرض الهجاء لذلك سنتطرق لبعض مفاهيم النقائض قبل أن نجري التطبيق عليها .

(١) ينظر: الهجاء في الشعر العربي في الاندلس: ١٧.

النقائض وتطورها .

ان لمعنى النقائض معاني حددتها المعاجم العربية منها: ((النقض من نقض الشيء اذا هدمه والحبل اذا حله، وذده الابرام يكون للبناء والحبل والعهد، وناقضه في الشيء مناقضة ونقاضا خالفه، والمناقضة في القول ان يتكلم بما يتناقض معناه، والمناقضة في الشعر ان ينقض الشاعر الآخر ما قاله الأول حتى يجيء بغير ما قال والنقيضة الاسم يجمع على النقائض ولذلك قالوا: نقائض جرير والفرزدق)) [١].

أما في الاصطلاح: ((وهو ان يتجه شاعر الى آخر بقصيدة هاجيا أو مفتخرا فيعمد الآخر إلى الرد عليه هاجيا أو مفتخرا ملتزما البحر والقافية والروي الذي اختاره الأول، ومعنى هذا انه لا بد من وحدة الموضوع فخرا أو هجاء أو سياسة أو رثاء أو نسيبا أو جملة من هذه الفنون المعروفة ...أما المعاني فالاصل فيها المقابلة والاختلاف لأن الشاعر الثاني همه ان يفسد على الاول معانيه فيردها عليه ان كانت هجاء ويزيد عليها مما يعرفه او يخترعه)) [٢] .

وان النقائض عرفت في العصر الجاهلي ضمن غرض الهجاء والفخر والحماسة ولاسيما بين الهجاء القبلي والمعارك، لكن لم تعرف بهذا الاسم، وانما كانت نت ضمن غرض الهجاء والحماسة ((ان النقائض موجودة منذ طفولة الشعر العربي في العصر الجاهلي ووجدت في بداوتها وحياتها القبلية)) [٣] .

وقد وجدت نماذج من التفاخر والهجاء بين الشعراء لكن لم تحتفظ بشروط النقائض التي عرفت في العصر الأموي، وقد تطورت النقائض في العصر الإسلامي فـ((كانت النقائض أيام الرسول عليه السلام امتدادا للنقائض الجاهلية من حيث اصولها الفنية وكان بعض شعرائها المسلمين كحسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة من رجالها فنهض بهذا الفن عصر البعثة المحمدية شعراء مخضرمون أدركوا العصرين)) [٤] .

أما العصر الذهبي للنقائض هو في العصر الأموي الذي أصبح عصرها وعرف بها، ووضعت شروط له ودعت أسباب لوجوده منها التنافس بين الشعراء التي كانت عبارة عن مباريات شعرية، وتشجيع السلطة الأموية على احياء العصبية القبلية، وعودت التفاخر والتناحر بين القبائل، واسترجاع أيام العرب، فضلا عن الهجاء في النسب والدين والهجاء الجسمي واظهار ما فيه من عيوب، وقد

---

(١) لسان العرب: مادة (نقض).
(٢) تاريخ النقائض: ٣-٤.
(٣) المصدر نفسه: ٣٥.
(٤) تاريخ النقائض: ١٣٠.

وضع للنقائض شروط منها ان يوجد شاعران أو أكثر متعاصران يقولان في ذات الغرض والــوزن والقافية فينقض الثاني قول الأول ليفسد معانيه ويسخر منه، فهذه شروط النقائض، وسنشرع في تحليل غرض الهجاء عن طريق تتبعنا لأنواع الهجاء الذي دار بين الشعراء (جرير والفرزدق والاخطل) .

أنواع الهجاء في النقائض:

١- الهجاء القبلي: يكثر هذا النوع من الهجاء في شعر النقائض وهو من القضايا التي سلط عليها الشعراء هجائهم على الخصم وضرب الخصم بنسبه وقبيلته وتعيره بأيام قبيلته، وتخلل ذلــك التهديد والوعيد والفخر بالأيام لكل قبيلة وكان كل شاعر لسان قبيلته فالأخطل لسان تغلــب، والفرزدق لسان تميم، وجرير لسان القيسية، وهذا النوع يكمن في هجاء الاخطل لجرير والرد عليه، فقال الاخطل:

أما كليبُ بن يربوعٍ فليسَ لهمْ عِنْدَ التّفارُطِ إيرادٌ ولا صدَرُ
مخلفونَ، ويقضي الناسُ أمرهمُ وهُمْ بغَيْبٍ وفي عَمْياءَ ما شَعروا
مُلَطَّمونَ بأعْقارِ الحِياضِ، فما ينفكّ من دارمي فيهم أثرُ
بئس الصحاةُ وبئس الشربُ شربهُمُ إذا جرى فيهمِ المزاءُ والسكرُ
وكُلُّ فاحِشَةٍ سُبّتْ بها مُضَرُ على العِياراتِ هَدّاجونَ،
قدْ بلَغَتْ نَجْرانَ أوْ حُدّثتْ سوءاتِهم هَجَرُ
الآكلون خبيثَ الزادِ، وحدهُمُ والسائلون بظهرِ الغيبِ ما الخبرُ
واذكرْ غدانةَ عداناً مزنمةً مِن الحَبَلَّقِ تُبْنى حوْلها الصِّيَرُ
تُمْذي، إذا سَخَنَتْ في قُبلِ أذْرُعِها وتزرئِمُّ إذا ما بلها المطرُ
وما غُدانَةُ في شيءٍ مكانَهُمُ الحابسو الشاءَ، حتى يفضلَ السؤرُ
يتصلونَ بيربوعٍ ورفدهمُ عِنْدَ التّرافُدِ، مغْمورٌ ومُحْتَقَرُ
صُفْرُ اللِّحى مِن وَقودِ الأدخِنات، إذا ردّ الرفادَ وكفَّ الحالبِ القررُ (١)

فرد عليه جرير بقوله:

إنْ طاردوا الخيلَ لمْ يشووا فوارسها أوْ واقفوا عانقوا الأبطالَ فاهتصروا
نحنُ اجتنبنا حياضَ المجدِ مترعةً منْ حومةٍ لمْ يخالطْ صفوها كدرُ
إنّا وَأُمِّكَ مَا تُرْجَى ظُلامَتُنَا عندَ الحفاظِ وما في عظمنا خورُ
تَلقَى تَمِيماً إذا خاضَت قُرُومُهُمُ سَائِلْ تَميماً وَبَكْراً عَنْ فَوَارِسِنا

(١) ديوان الاخطل: ٨٠.

هَلْ تَعرِفُونَ بذي بَهدَى فَوَارِسَنا يَوْمَ الهُذَيْلِ بأيدي القَوْمِ مُقتَسَرُ
الضّاربِينَ، إذا ما الخَيلُ ضَرّجَهَا وقعُ القنا والتقى منْ فوقها الغبرُ
إنَّ الهذيلَ بذى بهدى تداركهُ لَيْثٌ إذا شَدّ منْ نَجداتِهِ الظَّفَرُ
أرجو لتغلبِ إذْ غبتْ أمورهمُ ألاّ يُبارِكَ في الأمرِ الذي ائتَمَرُوا
خابَتْ بَنُو تَغْلِبٍ إذ ضَلّ فارِطُهم حوضَ المكارمِ إنَّ المجدَ مبتدر
الظاعنونَ على العمياءِ إنْ ظعنوا والسائلونَ بظهرِ الغيبِ ما الخبر [١]

ركز الشاعران في هجائهما على الهجاء القبلي فكل شاعر يهجو الآخر بأيام العرب الماضية، وبما ان الاخطل هو الذي بدأ بالهجاء فكانت معانية أقل وقوعا من شعر جرير، فقد هجا الأخطل جرير بقبيلته وعرض بهم ووصفهم بالبخل والجبن عند المعارك، وخلفهم للوعد وعدم رياستهم وتخاذلهم، بينما رد جرير هجاء الأخطل بالفخر بقبيلته تميم ويوم الهذيل، والفخر الممزوج بالهجاء من قبيلة تغلب لذلك وصفهم بالجبن وقلة الشجاعة، فالقصيدتان اتفقتا في الوزن والقافية وحرف الروي والموضوع، فموضوع القصيدة الفخر والهجاء القبلي بين قبيلتي الشاعرين تغلب وتميم، فقد اسقط جرير معاني الأخطل في رده وظهرت براعته عليه، وجاء الوزن على بحر البسيط فهو ((بحر راقص يتصف بنغماته العالية، وبتغير حركي موجي ايقاعًا وانخفاضًا، ٠٠ فسهولة موسيقاه الطاغية تقود الأُذن إلى دقة تركيبية بمجرد تكرار أبيات مقطعة نغميًا)) [٢]، وحرف الروي (الراء) الذي يستعمل متوسطا بين الشدة والرخاوة ويسمع الصوت فيه لذلك جاء الهجاء القبلي بينهما في اسقاط المعاني واسقاط الفضائل وسلبها.

وافحش هجاء قاله الاخطل في هجاء قوم جرير فقال:

قومٌ إذا استنبحَ الأضيافُ كلبهُمُ قالوا لأمّهِمِ: بُولي على النّارِ
فتُمْسِكُ البَوْلَ بُخْلاً أنْ تجودَ بهِ وما تبولُ لهم إلا بمقدارِ
لا يثْأرون بقَتْلاهُمْ، إذا قُتلوا ولا يكُرُّون، يوْماً، عِنْدَ إجْحارِ
ولا يزالونَ شتى في بيوتهمِ يَسْعُونَ مِنْ بينِ مَلْهوفٍ وفَرّارِ
فاقعُدْ، جَريرُ، فقد لاقَيْتَ مُطَّلَعاً صعباً، ولا قاكَ بحر مفعمْ جارِ
إلا كفيتمْ معداً، يومَ معظلةِ كما كفينا معداً، يومَ ذي قارِ [٣]

(١) ديوان جرير: ٢٤٨.
(٢) العروض والقافية:٢٠ .
(٣) ديوان الاخطل:١٢٦.

اذ يعد هذا من اجود قصائد الهجاء فقد سلب الأخطل الصفات من قبيلة جرير ووصفهم بالجبن والبخل ونلحظ مدى البلاغة في الهجاء، اذ لم يكتفي بهجائهم بالبخل وانما وصف امهم وعرض بها، وتناول ذلك بالفحش وانهم بخلاء حتى في قضاء حاجتهم، فهو يهاجم القبيلة.

٢- الهجاء الشخصي: وهو من أنواع الهجاء التي دارت في شعر النقائض وكان هذا النوع من الهجاء يسلط على سلب الفضائل النفسية والخلقية للمهجو فيرد الشاعر الآخر على ذلك، مثل هجاء جرير للفرزدق الذي جاء على سلب الصفات منه مثل السب والشتم واتهامه بانقطاع نسبه وغيرها ويشتم أمه ببذائة لفظية ومعنوية أذ قال:

يا ابن القُيُونِ وَذاكَ فِعْلُ الصَّيقَلِ وَفَزِعْتُمُ فَزَعَ البِطَانِ العُزّلِ
خصى الفرزدقُ والخصاءُ مذلةٌ يرجو مخاطرةَ القرومِ البزلِ
هابَ الخواتنُ من بناتُ مجاشعٍ مثلَ المحاجنِ أو قرونَ الأيلِ
قعدت قفيرةُ بالفرزدقِ بعدما جهدَ الفرزدقُ جهدهُ لا يأتلى
ألهي أباكَ عنِ المكارمِ والعلا ليُّ الكتائفِ وارتقاعُ المرجلِ

٣- الهجاء السياسي: وهذا الهجاء نلتمس فيه الميول السياسية لشعراء النقائض في الاحداث التي حدثت في زمانهم منها تأييد بني أمية أو الوقوف ضد خصم سياسي او فرق معينة أو الثورات والفتن التي حدثت فقال الأخطل:

وجدَ الزبيرُ بذي السباعُ مجاشعاً للحيثلوطِ ونزوةً منْ ضاطرِ
بَاتُوا وَقَدْ قُتِلَ الزّبَيرُ كأنّهُمْ خورٌ صوادرُ عنْ نجيلِ قراقرِ
وَلَدَتْ قُفَيرَةُ أُمُّ صَعصَعَةَ ابنَهَا فَوْقَ المُزَنَّمِ بَينَ وَطْبَيْ جَازِرِ
عزبتْ قفيرةُ في الغريبِ وراحتْ بالكفّ بينَ قوادمٍ وأواخرِ
عَلِقَ الأَخَيْطِلُ في حِبالي بَعْدَمَا عثرَ الفرزدقُ لالعاً للعاثرِ
لقيَ الأخيطلُ ما لقيتَ وقبلهُ طاحَ البَعيثُ بغَيرِ عِرْضٍ وَافِرِ
وَإذا رَجَوْا أنْ ينَقُضُوا مني قُوىً، مَرَسَتْ قُوَايَ عَلَيهِمُ وَمَرَائِرِي
و منوا بملتهمِ العنانِ مناقلٍ عندَ الرهانِ مقربٍ ومحاضرِ
إني نزلتُ بمفرعٍ منْ خندفٍ في أهلِ مملكةٍ وملكٍ قاهرِ
كانتْ فواضلنا عليكَ عظيمةً منْ سيبِ مقتدرٍ عزيزٍ قادرِ (١)

(١) ديوان جرير: ٣٤٠.

فالشاعر يقف في صف الزبير بن العوام في عدائه مع الحكم الأموي ولا سيما الخليفة عبد الملك بن مروان، وقد كان الهجاء السياسي معبرا عن توجهات الشعراء

٤- الهجاء الديني: كان هذا النوع من الهجاء بين شعراء النقائض ينم عن فخر الشعراء بعقيدتهم، وكان كل من الفرزدق والأخطل مسلمان بينما الاخطل نصراني لذلك كان الهجاء له دينيا

ولدَ الأخيطلُ نسوةٌ منْ تغلبٍ هنَّ الخبائثُ بالخبيثِ غذينا
إنَّ الذي حرمَ المكارمِ تغلباً جعلَ النبوةَ والخلافةَ فينا
هلْ تَملِكُونَ مِنَ المَشاعِرِ مَشعَراً، أوْ تَشْهَدُونَ مَعَ الأذَانِ أذِينَا
مضرٌ أبي وأبوُ الملوكِ فهلْ لكمْ يا خزرَ تغلبَ منْ أبٍ كأبينا
هذا ابن عَمّي في دِمَشْقَ خَلِيفَةً، لو شئتُ ساقكمُ إليَّ قطينا (١)

اعتمد جرير في هجائه على عنصر الدين الذي افتخر بانتسابه للاسلام والخلافة العربية، وسلب من جرير فضائل منها تعيره بنسائهم، والخبث، وعدم وجود شعائر واذان لهم، فالهجاء كان بين الدين والفخر بالاسلام والقبيلة .

وقول جرير ايضا في هجاء تغلب:

قَبَحَ الإلَهُ وُجُوهَ تَغْلِبَ إنّهَا هانتْ علَّ مراساً وسبالا
قَبَحَ الإلَهُ وُجُوهَ تَغْلِبَ كُلّمَا شبحَ الحجيجُ وكبروا إهلالا (٢)

٥- الهجاء الاجتماعي: وهذا النوع من الهجاء يكمن في هجاء قضايا اجتماعية ومن ذلك هجاء المرأة والتعيير بالنسب، وذلك هجاء المرأة عند شعراء النقائض فهجو الأم والأخت والإبنة وغيرها وعرضوا بهن من ذلك هجاء الفرزدق لجرير فقال:

وتركت امك يا جرير كانها للناس باركة طريق معمل
وكأنما كمر الغواة على استها او راد ما سقت النباح فثيتل
يا حق ما نبئت من رجل له خصيان الا ابن المراغة يحبل(٣)

تنوع الهجاء في النقائض لذلك كان شعرهم في الهجاء فاحشا وبذيئا مع جزالة اللفظ وقوة معانيه، وتخير الوزن والقافية بعناية، فضلا عن اسقاط الشعراء معاني الخصم لذلك كانت الجودة إلى الثاني الذي يرد، وقد تحدث احمد الشايب عن خصائص شعر النقائض لـ(جرير

(١) ديوان جرير: ٦٣٨.
(٢) ديوان جرير: ٤٧٩.
(٣) نقائض جرير والفرزدق: ١٥٠/١.

والفرزدق والاخطل) فقال: ((يمتاز جرير بالنسيب والرثاء، والاخطل بوصف الخمر ومدح الملوك، والفرزدق بالفخر، اما الهجاء فكان قدرا مشتركا بين ثلاثتهم، وعنده فلم يستطع الاخطل مجاراتهم فقلت معانيه واعتمد على التصوير ... وكان جرير سفها سليط اللسان مر الهجاء، وقد ساعد سهولة اسلوبه وسيرورة شعره، فكانت معانيه على بساطتها تسير في الناس وتحدث اثارا ساحرة ... اما الفرزدق فمع كثرة معانية وتنوعها اعوزه الأسلوب السائر السمح، بينما فخر الفرزدق سبب هجاءه وهوان حسب جرير مع ثبوته الادبي ... على قوة شكيمته وبراعته الفنية)) [١].

الخاتمة

ومسك ختام البحث خلص بنتائج هي:

- تنوعت الأغراض الشعرية في الأدب العربي وكان غرض الهجاء من الأغراض الرئيسة فيه، إذ يعمد فيه الشاعر إلى ذم المهجو وسلبه صفاته ومناقبه، وان الهجاء يقابل غرض المدح لان المدح يمنح الصفات الحميدة إلى الممدوح، بينما الهجاء يسلبها.
- نظر النقاد إلى غرض الهجاء من حيث ألفاظه وبنائه ومعانيه وطرق قوله، وبحثوا في شعر الهجاء على مختلف العصور الأدبية، كما ان بعضهم رفض الاحتفاظ بشعر الهجاء لفحشه .
- تطور غرض الهجاء تطورا ملحوظا منذ العصر الجاهلي فكان هجاءا شخصيا وقبليا، ومن ثم اخذ شكلا اخر في العصر الاموي في شعر النقائض، ليكن بعد ذلك شعرا شعبيا يحمل تطورا في اللفظ والبناء والأسلوب وظهور هجاء المدن والمجتمع والدين والسياسة وغيرها.
- تنوعت أساليب الهجاء وطرقه بسبب تطور المجتمع واختلاف الظروف المهيئة له.
- تعد النقائض في الشعر الأموي من الأشعار التي حملت الهجاء الذي بلغ ذروة التطور في فن الهجاء ونما بسبب العصبية القبلية، والتشجيع من الحكام وغيرها .
- يرجع اصل النقائض الى العصر الجاهلي لكن لم تكن معروفة كما عرفت في العصر الاموي ولم تكن ذات الشروط لها.
- انمازت النقائض بجزالة اللفظ والمعاني وقوة التصوير، وبذاءة الهجاء وفحشه فقد هجو الرجل والمرأة والقبيلة وغيرها .

---

(١) تاريخ النقائض: ٤٤٤.

- من شروط النقائض ان يوجد شاعران او أكثر متعاصران يقولان على غـرض واحـد ووزن وقافية واحدة يقوم المهجو بالرد على الأول بقلب معانية .
- امتزجت النقائض بالفخر والمدح والتهديد والهجاء فلم تكن خالصة هجاءا فقط.
- تطور الهجاء في الشعر العربي من حيث المضمون واللفظ والمعاني بحسب المجتمع الذي يعيش فيه الشاعر، وشكلت سلسلة متواصلة عبر الأجيال.
- تكمن قيمة النقائض في حفظها التاريخ أي تاريخ القبائل وذكر ايـامهم، فكانـت سـجلا تاريخيا.

المصادر والمراجع

- تاريخ الادب العربي – العصر الاسلامي،د. شوقي ضيف، دار المعارف – بيروت، ط٧، (د،ت).
- تاريخ الادب العربي – العصر الجاهلي، د. شوقي ضيف، دار المعارف – بيروت، ط١١، (د،ت).
- تاريخ الادب العربي – العصر العباسي الأول، د. شوقي ضيف، دار المعارف – بيروت، ط٨، (د،ت).
- تاريخ الادب العربي – العصر العباسي الثاني، د. شوقي ضيف، دار المعارف – بيروت، ط٨، (د،ت).
- تاريخ الأدب العربي (عصر الدول والإمارات الأندلس)، د٠ شوقي ضيف، دار المعارف القاهرة،١٩٨٩م
- تاريخ الادب العربي، حنا الفاخوري،المطبعة البوليسية – بيروت، ١٩٦٠م،(د،ط).
- تاريخ النقائض في الشعر العربي، احمد الشايب، مكتبة النهضة – مصر، ط٣، ١٩٥٤م.
- تهذيب اللغة: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (٢٨٢هـ ـ ٣٧٠هـ) / تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني وعلي محمد البجاوي / الدار المصرية للتأليف والترجمة / (د.ت) .
- ديوان الأخطل، تحقيق: مهدي محمد ناصر، دار الكتب العلمية ١٩٩٤م .
- ديوان جرير، تحقيق: محمد نعمان أمين، دار المعارف – مصر، (د،ط) (د،ت).
- ديوان الفرزدق، شرح وضبط ايليا حاوي، دار الكتاب اللبناني – بيروت، ١٩٨٣م، (د،ط).

- الشعر والشعراء، لابن قتيبة الدينوري(٢٧٦ه)، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، دار الحديث– القاهرة، ٢٠٠٣م .
- الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية / اسماعيل بن حمّاد الجوهري (ت٣٩٣هـ) / تحقيق: أحمد عبد الغفور عطّار / مطابع دار الكتاب العربي / مصر / (د.ت) .
- العروض والقافية (دراسة وتطبيق في شعر الشطرين والشعر الحر)، د. عبد الرضا علي، دار الكتب للطباعة والنشر – الموصل، (د.ط)، ١٩٨٦م .
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تأليف: ابن رشيق القيرواني (٤٥٦ه)، حققه وفصله وعلق عليه، محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل– بيروت، ط٤، ١٩٧٢م .
- عيار الشعر: محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي (٣٢٢هـ) / تحقيق وتعليق / د. طه الحاجري و د. محمد زغلول سلام / شركة فن الطباعة / القاهرة / ١٩٥٦م .
- فن الهجاء وتطوره عند العرب: ايليا حاوي، دار الثقافة – بيروت، (د،ط) (د،ت).
- فنون الادب العربي (الهجاء): د. محمد سامي الدهان، دار المعارف – بيروت، ط٣، (د،ت).
- كتاب الصناعتين / أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري (ت٣٩٥هـ) / تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم / عيسى البابي الحلبي وشركاه / ط٢ / ١٩٧١م.
- كتاب النقائض، نقائض جرير والفرزدق، تاليف: ابي عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري، تحقيق: محمد احمد عبد العزيز سالم، دار الكتب العلمية – بيروت، ط٢، ٢٠٠٧م.
- لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٥م
- المحيط في اللغة: الصاحب إسماعيل بن عبّاد (ت٣٨٥هـ) / تحقيق: محمد حسن آل ياسين / وزارة الثقافة والاعلام / العراق / بغداد / ١٩٨١م .
- المستطرف في كل فن مستظرف، شهاب الدين الابشيهي، ملتزم الطبع والنشر عبد الحميد احمد حنفي، القاهرة، (د،ط) (د،ت).

- معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب، مجدي وهبة، وكامل المهندس، مكتبة لبنان –بيروت، ط٢، ١٩٨٤م.
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، احمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م ٠
- نقد الشعر: أبو الفرج قدامة بن جعفر / (ت٣٣٧هـ) / تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي / دار الكتب العلمية / بيروت / لبنان / ١٩٤٨م .
- الهجاء في الشعر العربي، سراج الدين محمد، دار الراتب الجامعية – بيروت، (د،ط) (د،ت).
- الهجاء في الشعر العربي في الأندلس، د. نافع عبد الله، كلية الاداب – جامعة بيرزيت، ط١، ١٩٨٤م.
- الهجاء والهجاءون في الجاهلية: د. محمد محمد حسين، مكتبة الاداب – القاهرة، ١٩٤٧م، (د،ط).
- الوساطة بين المتنبي وخصومه / القاضي عبد العزيز الجرجاني / تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي / القاهرة / عيسى الحلبي / ١٩٦٩م .